الاسكندر ذو القرنين

فتح مصر وبناء الاسكندرية

لما فرغ الاسكندر من امر اسيا الصغرى وبلاد الشام على ما في الاجزاء الماضية سار في طريق الساحل قاصداً القطر المصري وكان ذلك في شهر نوفمبر من سنة ٣٣٢ قبل المسيح لكي يقطع كل اتصال للفرس بالبحر المتوسط ويجعله بحراً يونانياً ويستولي على طرق التجارة فيه . فقضى في الاستيلاء على اسيا الصغرى وبلاد الشام سنتين ونصف سنة اي قضى ثلث ايام ملكه ولم يستولِ الاَّ على عشر البلاد التي شملها ملكه بعدئذٍ ولكنه استولى على ثلاثة اقاليم وثلاث طوائف من الناس الاقليم الاول الطرف الغربي من اسيا الصغرى حيث السكان اكثرهم من اليونان ولغتهم اليونانية وقد استولى عليه من شهر مايو الى شهر نوفمبر سنة ٣٣٤ قبل المسيح . والثاني القسم المتوسط والجنوبي من اسيا الصغرى حيث مختلف الامم والشعوب وقد استولى عليه من نوفمبر سنة ٣٣٤ الى نوفمبر سنة ٣٣٣ قبل المسيح . والثالث بلاد الشام كلها او سورية وفلسطين حيث كانت العزّة والصولة للفينيقيين وللسان الفينيقي وقد استولى عليه من نوفمبر سنة ٣٣٣ الى نوفمبر سنة ٣٣٢ قبل المسيح

فاستولى على بحر الروم باستيلائه على هذه الاقاليم وظفر اعظم ظفر بحري في معارك برية ولم يبقَ عليه الاَّ ان يختم هذا الظفر بانشاء مدينة بحرية تكون واسطة عقد التجار بين الشرق والمغرب ولا يكون للفرس سبيل اليها وتصير مقرّاً لما بلغته الحضارة ووصل اليه العمران في ذلك العهد

ولقد كان الاسكندر عالماً ان مصر مهد العمران وان فيها نشأت العلوم والفنون وانها على صغرها تجمع خلقاً كثيراً يعيشون فيها بالرخاء وسط الصحاري القاحلة وان اهلها ناقمون على الفرس ومن عاداتهم ان يستشفوا من داء بداء فلا يبعد ان يرحّبوا به لكي يخلصوا من تسلط اشد منه وطأةً . فقام من غزة وسار في طريق القوافل التي سار فيها غيره من الفاتحين قبله وبعده فبلغ الطينة (بلوز يوم) في سبعة ايام وكانت مدينة حصينة بقرب مصب الفرع الشرقي من فروع النيل (شرقي بورت سعيد) ففتحت له ابوابها ومن ثم رحّب به سكان مصر كلهم لانهم كانوا قد ملّوا من الخضوع للفرس بعد ان حملوا نيرهم نحو مئتي سنة ولم يجد واليها الفارسي سبيلاً للمقاومة لانه لم يكن عنده جيش ولا اساطيل فبادر الى التسليم فتضاعف ملك الاسكندر

في يوم واحد من غير ان يوتي سهماً او يحرك يداً . وهنا ختم تاريخ مصر القديم وابتدأ تاريخ جديد تقلبت فيه على اطوار شتى

وسار من الطيبة على الضفة الشرقية من فرع النيل الشرقي الى ان بلغ مدينة الشمس (الطرية) مقر المدارس التي امست بعد حين آثاراً دوارس والمسلات الشاهقة التي تبعث الشمس في سيرها غرباً فبلغت مدينة لندن في بلاد الانكليز ومدينة نيويورك في اميركا . وسار منها فرسخ المتطلع ورأى الاهرام واقفة امامه الواحد بعد الآخر كأنها حراس تحرس النيل من رمال الصحراء ورقباء ترقب الدهر لترى تصاريفه بابناء هذا القطر . وعبر النيل وبلغ مدينة منف عاصمة الديار المصرية واكبر مدائن الاحياء فيها وهي متربعة بين الصحراء والنيل وفي وسطها هيكل المعبود فتاح الذي كان يعبد في صورة ثور يختاره الكهنة رمزاً له ويقومون على حراسته وخدمته الى ان ينقضي اجله فيضعونه في تابوس من المرمر ويدفنونه بالتبجيل والتكريم في مدينة الاموات التي عاشت بعد مدينة الاحياء . ولم تزل آثارها تبن المدينتين الى يومنا هذا آثار مدينة الاموات من اهرام ومصاطب ومدافن عظيمة فخيمة من اعظم ما بناه الناس وصنعه اهل الصناعة وفاخر به الملوك والعظماء وآثار مدينة الاحياء قليلة على عظمتها لم يبقَ منها الى الآن سوى تمثالين عظيمين وحجارة متفرقة لكنها كانت كثيرة جداً منذ بضع مئات من السنين وقد وصفها عبد اللطيف البغدادي وصفاً بديعاً حيث قال

« ومن ذلك الآثار التي بمصر القديمة وهذه المدينة بالجيزة فويق الشطاط وهي منف التي كان يسكنها الفراعنة وكانت مستقر مملكة ملوك مصر فهذه المدينة مع عظمها وتقادم عهدها وتداول الملل عليها واستئصال الايام اياها من تعفية آثارها وتحو رسومها ونقل حجارتها وآلاتها وافساد ابنيتها وتشويه صورها مضافاً الى ما فعلته فيها اربعة آلاف سنة فصاعداً تجد فيها من العجائب ما يفوت فهم الفطن المتأمل ويحصر دون وصفه البليغ الفن وكلما ردته تأملاً زادك عجباً وكلما ردته نظراً زادك طرباً ومهما استنبطت منه معنى اتباك بما هو اغرب ومهما استثرت منه عملاً دلك على ان وراءه ما هو اعظم

فمن ذلك البيت المسمى بالبيت الاخضر وهو حجر واحد تسع اذرع ارتفاعاً في ثمان طولاً في سبع عرضاً قد حُفر في وسطه بيت قد جعل سمك حيطانه وسقفه وارضه ذراعين ذراعين والباقي فضاء البيت وجميعه ظاهراً وباطناً منقوش ومصوَّر ومكتوب بالقلم القديم وعلى ظاهره صورة الشمس مما يلي مطلعها وصوَر كثير من الكواكب والافلاك وصوَر الناس والحيوان على اختلاف من النصبات والهيئات بين قائم وماشٍ وماذٍّ رجليه وصافهما ومشمر للخدمة وحامل

الآلات والمشير بها . يشير ظاهر الامر انهُ قصد بذلك محاكاة امور جليلة واعمال شريفة وهيئات فاضلة واشارات الى اسرار غامضة وانها لم تتخذ عبثاً ولم يستفرغ في صنعتها الوسع لمجرَّد الزينة والحسن . وقد كان هذا البيت ممكناً على قواعد من حجارة الصوان العظيمة الوثيقة فحفر تحتها الجهلة والحمقى طمعاً في المطالب فتغير وضعهُ وفسد هندامهُ واختلف مركز ثقلهِ وثقل بعض على بعض فتصدع صدوعاً لطيفة يسيرة . وهذا البيت قد كان في هيكل عظيم مبني بحجارة عاتية جافية على اتقن هندام واحكم صنعة وفيها قواعد على عُمُد عظيمة وحجارة الهدم متواصلة في جميع اقطار هذا الخراب . وقد بقي في بعضها حيطان مائلة بتلك الحجارة الجافية . وفي بعضها اساس وفي بعضها اطلال ورأيت عقد باب شاهقاً ركناهُ حجران فقط وأزجهُ حجر واحد قد سقط بين يديهِ . وتجد هذه الحجارة مع الهندام المحكم والوضع المتقن قد حفر بين الحجرين منها نحو شبر في ارتفاع اصبعين وفيهِ صدأ النحاس وزعجرتهُ فعلمت ان ذلك قيود الحجارة البناء وتوثيقها وربطات بينها بأن تجعل بين الحجرين ثم يصب عليهِ الرصاص وقد تتبعها الانذال والمحدودون فقلعوا منها ما شاء الله تعالى وكسروا لاجلها كثيراً من الحجارة حتى يصلوا اليها ولعمر الله لقد بذلوا الجهد في استخلاصها وابانوا عن تمكن من اللؤم وتوغل في الخساسة

واما الاصنام وكثرة عددها وعظم صورها فامرٌ يفوت الوصف ويتجاوز التقدير . واما اتقان اشكالها واحكام هيئاتها والمحاكاة بها الامور الطبيعية فموضع التعجب بالحقيقة . فمن ذلك صنم ذرعناهُ سوى قاعدتهِ فكان نيفاً وثلثين ذراعاً وكان مداهُ من جهة اليمين الى اليسار نحو عشر اذرع . ومن جهة الخلف الى الامام على تلك النسبة وهو حجر واحد من الصوان الاحمر وعليهِ من الدهان الاحمر كأنهُ لم يزدهُ تقادم الايام الاَّ جدَّةً . والعجب كل العجب كيف حفظ فيه مع عظمهِ النظام الطبيعي والتناسب الحقيقي وانت تعلم ان كل واحد من الاعضاء الآلية المتشابهة لهُ في نفسهِ مقدار ما ولهُ الى سائر الاعضاء نسبة ما وبذلك المقدار وتلك النسبة يحصل حسن الهيئة وملاحة الصورة فان اختل شيء من ذلك حدث من القبح بمقدار الخلل . وقد أُحكم في هذه الاصنام هذا النظام احكاماً اي احكام فمن ذلك مقادير الاعضاء في نفسها ثم نسب بعضها الى بعض » انتهى

هذا بعض ما ذكرهُ عبد اللطيف البغدادي الذي كان في الديار المصرية وشاهد آثارها منذ نحو سبع مئة سنة اي بعد ان استولى عليها الخراب نحو الف سنة فماذا كان شأنها وكيف كانت حالها لما دخلها الاسكندر وهي في اوج مجدها . وكم كان وقعها في نفسهِ عظيماً ولذلك لا يستغرب اعجابهُ بالمصريين واقرارهم على حالهم ويقال انهُ لما دخل عاصمتهم ذهب توًّا الى هيكل

ليس الثور المقدس ليقرّب له القربان. وحريٌّ بمن ولد للسياسة والرئاسة ان يخاطب الناس على قدر افهامهم ولكنه لا يعذر اذا عبد العجل ولو عبده الناس قاطبةً غير انك لا تعدل في الحكم الاَّ اذا وضعنا انفسنا في موضعه ونظرنا الى الامور كما كان ينظر اليها فان كان قد رسخ في ذهنه ان الاله الواحد يُعبَد بتقريب القربان الى ما يتفق القوم على اتخاذه رمزاً له والعبادة صحيحة حسب اعتقاده ولو كانت لثور. وبديهي ان المصريين ابتهجوا بفعل الاسكندر لانهم قابلوه بما فعله قمبيس الفارسي حينما دخل مصر وطعن الثور المقدس بيدهِ وداريوس وخس الذي امر ان يذبح ثور من الثيران المقدسة فزادوا اكراماً للاسكندر وترحيباً به. وقد اثبت ذلك ديودورس في تاريخهِ

ومن رأي الاستاذ هوبلر ان الاسكندر فعل ما فعل في هيكل الثور ليس عن تديُّن وورع لانه ورث التديُّن من امهِ وانهُ كان يقف في حضرة القوة الالهية المتسلطة على الكون كلهِ كما يقف الوالي الصغير امام الملك الكبير وكانت عواطفهُ حيَّة شديدة تمنعهُ من الوقوف موقف البحث والتشكيك ومطامعهُ كبيرة واسعة تردعهُ عن التعصُّب لقومهِ والتحيُّز لاهل مذهب دون آخر. وبلاد مصر بلاد كهنة وهياكل واصنام وتماثيل وعبادة وورع فتسلَّطت عليهِ بعبادتها كما تسلَّط عليها بسيادتهِ واقام فيها اربعة اشهر كانهُ في هيكل عظيم تعبد فيهِ صنوف الالهة

وكان معهُ نحو عشرين الفاً من الجنود فتركهم ليستريحوا في منف واخذ نحو اربعة آلاف من الفرسان والرماة وحملة التروس وسار في النيل الى طرف فرعهِ الغربي عند ابي قير وقطع الى بحيرة مريوط وكانت حينئذٍ وسيعة عميقة الماء تصب فيها ترع كثيرة والارض حولها مزروعة كرومًا واشجارًا مخلفة فبلغ مكانًا بعد عن ابي قير نحو ١٣ ميلاً في حيد يتصل بحيرة مريوط عن بحر الروم فاعجبهُ ذلك الموقع وعزم ان يبني فيهِ مدينة حاسبًا انها تكون صلةً بين بحر النيل وبحر الروم او بين بلاد مصر وافريقية كلها من ورائها وبين البلدان المتاخمة لبحر الروم والمتصلة بهِ فان السفن النيلية كانت تصل الى بحيرة مريوط من الجهة الواحدة من هذا الحيد والسفن البحرية تصل اليهِ من الجهة الاخرى وتستطيع الاقامة في مرفأين طبيعيين فيهِ ولا مرفأ غيرهما مسافة ستمئة ميل من ساحل بحر الروم

ولا دليل على ان الاسكندر كان يبحث حينئذٍ عن مكان يبني فيهِ مدينة ولكن يرجِّح من قرائن الاحوال وممَّا رسخ في نفسهِ بعد خراب صور واستيلائهِ على مصر انهُ كان مهتمًّا ببناء مدينة تقوم مقام المدينة التي خربها فلما وصل الى هذا الموقع رأى فيهِ ما يفي بحاجتهِ.

وسواء كان صالة منشودة او لقطة عثر عليها عشوراً فان المدينة التي بناها فيه صارت اعظم المدن التجارية

هذه هي الاسكندرية التي كانت ولا تزال واسطة للاتصال بين افريقية واسيا واوربا وسوقاً لتجارة المسكونة وعاصمة لعمران اليوناني الذي ساد المعمورة ثلاثة قرون ولم تزل آثاره حتى الآن . وقد نمت نمواً سريعاً فصارت الثالثة في الممالك الغربية بعد موت الاسكندر بسبعين سنة فقط وكانت الاولى قرطاجنة والثانية انطاكية . وبلغ عدد سكانها في السنة الستين قبل المسيح ثلثمئة الف من الاحرار وزاد على ذلك في القرن الاول المسيحي فبلغ نحو اربع مئة الف حرّ ولم ينقها في عدد السكان حينئذٍ الاّ مدينة رومية

وقد ذكر الكتّاب الذين نشأوا في القرن الاول قبل التاريخ المسيحي ما يؤخذ منه ان تجارتها كانت شاملة لاثمر ما يتمر به في المسكونة فكانت القوافل والسفن تاتيها ببضائع افريقية وبلاد العرب وبلاد الهند بالطيوب من بلاد العرب والتبر والحجارة الكريمة من بلاد الهند واللآلىء من بحر فارس والحرير من بلاد الصين والذهب والذبل (ظهر السلاحف) من شواطىء البحر الاحمر والعاج من افريقية والحبوب من مصر . وكان يسافر منها كل سنة ١٢٠ سفينة قاصدة الهند فتصعد في النيل وتسير فيه الى البحر الاحمر ومن ثمّ الى بلاد الهند . وكان صنّاعها يتسابقون في المصنوعات التي يبدل بها ما ياتيها من البضائع والتحف كما تتسابق معامل اوربا الآن في المصنوعات فكانت منسوجاتها تبلغ اقاصي المسكونة حتى البلاد الانكليزية ولاسيما البوص المشهور بدقة نسجه وهو من الكتان الذي كان يزرع في القطر المصري . والبسط المصنوعة من اثمن انواع الصوف مصبوغة بابدع الالوان والورق المصنوع من البردي والزجاج الذي كانت اكوابه تباع كاكواب الذهب والزيوت والعطور التي كان الناس يباهون بها حينئذٍ كما يباهون الآن بالطيوب الفارسية . قال هدريانوس الذي كتب سنة ١٣٤ للمسيح انه لم يكن احد في الاسكندرية من غير صناعة حتى العميان والمقعدين وكان الدينار معبود الناس يعبده اليهود والنصارى على حدّ سوى

ولا نُذكر الاسكندرية القديمة الاّ ويقرنها الذهن باسباب عظمتها وشهرتها وهي مكاتبها ومدارسها وهيا كلها ومنارتها فان بطليموس الاول الذي تولاها بعد الاسكندر انشأ فيها مكتبة كبيرة (كتب خانة) جمع فيها خمسين الف مجلد ودرج وزاد اعتناء البطالسة بهذه المكتبة حتى بلغ عدد كتبها ٤٩٠ الف مجلد في رواية و ٧٠٠ الف مجلد في رواية اخرى . وكانت مقسومة قسمين احدهما في الميوزيوم وهو مدرسة كبيرة لتعليم فنون الادب والآخر

في السرابيوم وهو هيكل زفس سرابيس . واما القسم الاول فاحترق لما حاصر يوليوس قيصر الاسكندرية . واما الثاني فبقي في السرابيوم الى ايام الملك ثيودوسيوس الكبير ثم احترق اكثره لما امر هذا الملك بتخريب جميع هياكل الوثنية وذلك سنة ٣٩١ للمسيح . ولما احترق القسم الاول من هذه المكتبة عوّض منهُ بمكتبة برغامس التي اهداها مرقس انطونيوس الى الملكة كليوبترة فدخلت في السرابيوم

ويقال ان ارسطوطاليس معلّم الاسكندر هو اول من جمع مكتبة وان مكتبتهُ هي اصل مكتبة الاسكندرية هذه وان كتبهُ كلها كانت فيها وان البطالسة اكثروا من جمع الكتب اقتداء بهِ واكرامًا لهُ لانهُ هو الذي هذّب الاسكندر قائدهم الاعظم . وبلغ من غرامهم في جمع الكتب انهم كانوا يستعيرون المؤلفات من اصحابها و ينسخونها و يحفظون الاصل عندهم و يردون النسخة الى صاحب المؤلف . وينتشون عن الكتب في امتعة السبّاح والتجار الذين يدخلون الاسكندرية ويأخذون ما يجدونهُ منها

وقد اتصلت بنا اسماء كثيرين من مديري تلك المكتبة مثل كاليماكس الذي ألّف كتابًا كبيرًا في تاريخ العلوم اليونانية وايراتُستنس الذي انشأ مرصدًا في الاسكندرية لرصد الافلاك واكتشف ميل دائرة البروج وقاس محيط الارض وكان بطليموس سوتر منشئُ هذه المكتبة محبًّا للعلم مقرّبًا للعلماء والّف تاريخًا للاسكندر فُقد مع ما فقد من الكتب . ومن العلماء الذين قرّبهم اقليدس صاحب كتاب الاصول الهندسية . وكان يمشي معهُ ذات يوم في الطريق السلطانية المؤدية الى القصر ولم يكن يمشي فيها غير الملوك والذين من بيت الملك واما الشعب فكان يصل الى القصر من طريق اخرى ذات درج صعبة المرتقى فسألهُ بطليموس أمامن سبيل اسهل لمعرفة التعاليم فقال «كلاَّ اذ ليس لما سكة سلطانية» مشيرًا الى السكة التي كان يمشي فيها

ومنهم هيروفيلس الذي شرّح جسد الانسان ومنّى اجزاءهُ للخلفة باسمائها التشريحية المعروفة بها الى الآن ويقال انهُ شرّح ستمئة جثة وشرّح بعض الاسرى وهم في قيد الحياة وهي قساوة بربرية نودُّ ان يكون بريئًا منها

اما مدارسها فأشهرها الميوزيوم المشار اليهِ انفًا ولم يكن دارًا للتحف كما يفهم من مدلول هذه الكلمة الآن بل دارًا للعلم والتعليم وكان مبنيًّا حيث بورصة الاسكندرية الآن . اي ان الاقدمين من سكان الاسكندرية كانوا يطلبون الغنى العقلي حيث يطلب المحدثون الغنى المالي . ولهذه المدرسة الفضل الاول في حفظ علوم اليونان ونشرها في المشرق والمغرب وبقيت علومها يانعة الى المئة السابعة للميلاد

وتعاقب على مصر عشرة من البطالسة اعتنوا كلهم بهذه المدرسة ووسعوا نطاق التعليم والبحث فيها وكان لاساقفتها الباع الطولى في التعاليم والهندسة والفلك والجغرافية والتاريخ الطبيعي والتشريح والطب. وكان يتصل بها بستان للنبات تزرع فيه النباتات المختلفة الاقاليم وتتخذ العقاقير الطبية منها وبستان للحيوان تربى فيه الحيوانات الكثيرة البرية والاهلية وتدرس طبائعها

وخُطّطت الاسكندرية فجعل فيها شارعان كبيران يقطع احدهما الآخر على زاوية قائمة وعرض كلٍّ منهما مئة قدم وعلى جانبيه رواقان وصفان من الاعمدة ثم خططت بقية الشوارع لتكون موازية لهذين الشارعين فصارت المدينة بها قطعاً مربعة الشكل كرقعة الشطرنج وهي مستطيلة طولها ثلاثة اميال وعرضها ميل. وقد اجلى النقب الذي شرع فيه محمود باشا الفلكي وتم سنة ١٨٦٧ عن اكتشاف الشارعين الكبيرين وآثار الاعمدة التي كانت على جانبيها وصفاح المرمر التي كانت ارضها مرصوفة بها وظهر ان محيط المدينة القديمة كان اقل من عشرة اميال.

وقد ذكر فلوطرخس انهُ لما خططت المدينة ذروا على رسم شوارعها دقيق الحنطة بدل دقيق الطباشير فلم يكادوا يتمون رسمها حتى وقعت الطيور على الدقيق والتهمتهُ فتشاءم الاسكندر من ذلك لكن اهل الفأل فسّروا لهُ وقوع الطيور بانهُ يدل على غنى المدينة وعلى انها ستكون مغذية للامم

وكان في مكدونية مهندس شهير اسمهُ دينوكراتس وهو الذي بنى هيكل ارطاميس في افسس بعد ان حرقهُ هروستراتس الاحمق لكي يشتهر اسمهُ. فلما طبقت شهرة الاسكندر الاقطار رأى ان يصنع لهُ تمثالاً لم يُصنع مثلهُ للملك من ملوك الزمان فلما مثل بين يديهِ قال لهُ اني عزمت ان انحت جبل اثوس واصنعهُ لك تمثالاً وابني في يساره مدينة تسع عشرة آلاف من السكان واحوّل جميع الانهار التي تنبع منهُ الى بحيرهِ فتجري منها الى البحر سيلاً متدفقاً. فسرَّ الاسكندر بهِ وصرفهُ ولعلهُ قال في نفسهِ ان هذا الرجل قد فاقني في حب الشهرة فطلبها من حيث لا تعذر. ولكنهُ تذكرهُ لما اراد بناء الاسكندرية فاستدعاهُ لهذه الغاية ووكل اليهِ بناءها. ثم اتجه غرباً سائراً على شاطىء بحر الروم الى ان بلغ حدود قورين او القيروان فقابلهُ وفد من اهلها يحمل اليهِ الهدايا و يطلب تحالفهُ فاجاب الوفد الى ما طلب وحوّل ركابهُ الى الجنوب وسار في الصحراء قاصداً هيكل امون في واحة سيوى والطريق اليهِ في مفازة قاحلة لا معالم فيها ولا شيء يهتدى بهِ وقد استعظم المتقدمون والمتأخرون ما فعلهُ ونسبوا اهتداءهُ الى خوارق لم يألفها الناس فقال بعضهم ان حيتين انسابتا في طريقهِ تهديانهِ في تلك المفاوز

وقال حراس عربين ظنوا امامهُ في حلم وارتحلوا وقد قتل احسن رجاله صفاءً وظلا يتعقبان الى ان يهتدي اليهما

ووجد سيوى درة في قفر فيه النخيل والزيتون وماء معين حول هيكل امون فلما بلغها الاسكندر دخل الهيكل وبقال انهُ سأل اولاً عمَّا اذا كان احد من قتلة ابيه قد نجا من العقاب فوبخهُ كاهن الهيكل قائلاً ان اباك ليس من الاموات حتى يقتل فسأل الاسكندر عن قتلة فيلبس فقيل لهُ انهم عوقبوا كلهم

لكن فلوطرخس انكر هذه الرواية وقال ان الاسكندر كتب الى امهِ يخبرها بذهابهِ الى هيكل امون وان هذا المعبود اطلعهُ على امور سرية سيقصها عليها بنفسهِ متى عاد اليها . وقال فلوطرخس ايضاً ان البعض يقولون ان كاهن امون خاطب الاسكندر باليونانية وهو لا يحسنها واراد ان يقول لهُ يا ابني (بايديون) فقال يا بن زفس (بايي ذيوس) واضافَ النبرة على واو ذيوس ففرح الاسكندر بهذا الخطاء ولم يصححهُ وشاع على الالسنة انهُ دعي ابن زفس اب الآلهة . وانكر بعض المؤرخين هذه الرواية او لم يشيروا اليها وقال غيرهم ان الكاهن لقبهُ ابن رع (الشمس) او ابن امن وهو اسلوب المصريين في تلقيب ملوكهم لا اشارة فيه الى انهم مولودون من الالهة او من غيرهم . و يظهر من بعض القرائن والادلة ان الاسكندر مال الى الاعتقاد بانهُ من جبلة فوق جبلة الناس وان لالهة تعتني به بنوع خاص . ولا يستغرب ممن كان مولعاً باشعار هوميروس منذ نعومة اظفاره ومعجباً بالابطال الاقدمين الذين يقال انهم من نسل الآلهة ان يتوخى الاقتداء بهم وجعل نفسهُ في مصافهم ولو سياسةً ليسهل عليهِ التسلط على الشعوب الكثيرة التي خضعت لهُ ولاسيما شعوب المشرق التي كانت تؤلهه ملوكها ولكن لا دليل على انهُ فعل ذلك او ندب اليونان الى عبادتهِ كما زعم البعض غير ان اليونان اكرموهُ بعد موتهِ او عبدوهُ ورسموهُ على نقودهم في شكل الالهة وشاعت عبادتهُ في الاسكندرية في عهد بطليموس الثاني بعد موتهِ بخمسين سنة وبقيت الى عهد الرومان . واكثر الذين ألَّهوا وعُبدوا لم يدَّعوا التألُّه ولم يطلبوا العبادة وانما فعل ذلك خلفاؤهم لكي يستعزوا بهم ويتسلطوا على عقول البسطاء

وعاد الاسكندر من واحة سيوى بعد ان اهدى الى هيكلها الهدايا النفيسة فوجد الوفود في انتظارهِ من مدن اليونان وجزائرها وكل وفد يطلب امراً فاوفى الجميع وسرهم . واقام في القطر المصري شهراً من الزمان ينظم امورهُ ففصل الادارة عن الحربية والمالية وجعل للغرباء حكومة مستقلة عن حكومة الوطنيين ووضع الحامية في منف والطينة وقام في اوائل ربيع

سنة ٣٣١ قبل المسيح وعاد الى فينيقية وجاء صور ونظم امورها ثم ودّع سواحل بحر الروم وغاص في قلب اسيا كما سيجيء

هذه خلاصة ما ذكرهُ المؤرخون الاقدمون من اليونان والرومان ونقلهُ عنهم كتّاب الافرنج اما مؤرخو العرب فابن الاثير اجتزى عن ذلك كلهِ بقولهِ ان الاسكندر بنى الاسكندرية بمصر. واكتفى ابن خلدون بقولهِ وفتح (الاسكندر) كثيرًا من مدن الشام ورجع الى طرسوس فزحف اليهِ دارا ولقيهُ عليها فهزمهُ الاسكندر وافتتح طرسوس وبنى الاسكندرية ثم تزاحف مع دارا وهزمهُ وقتلهُ . ولم نرَ لغيرهما كلامًا سهلًا عن مجيء الاسكندر الى القطر المصري

شهيد التجارة

للتجارة شهداء كما للديانة والذين يستشهدون في سبيل المال يفوقون الاحصاء وما الفرسان طلاّب المعالي الذين تسيل على حد الظباة نفوسهم بابسل من طلاّب المكاسب الذين يخوضون البحار ويجوبون القفار لاجل مال يكتسبونهُ و بضاعة يبتاعونها. وقد اطلعنا بالامس على رسالة لرجل من سكان بطرس برج وصف فيها ما لقيهُ من الشدّة في قلب افريقية وهو يطلب فيها ريش النعام فترجمناها تفكهة للقراء وذكرى للذين يتقاعدون عن السعي منا ويحسبون اننا نستطيع ان نجاري الاوربيين من غير ان نأخذ اخذهم . قال المكاتب :

انتظمت سنة ١٨٨٨ في خدمة بيت تجاري من اكبر البيوت التجارية في بطرس برج لهُ معاملات واسعة في البلدان الشرقية ولم اكد انتظم في خدمته حتى دعاني احد الشركاء فيهِ الى مكتبهِ وقال لي استعدَّ للذهاب الى مدينة بيروت وقابل فلانًا وامضِ معهُ الامر الفلاني. فسافرت حالاً وبلغت بيروت في عشرة ايام وقضيت العمل الذي اتيت لاجلهِ وقبل ان اسافر منها جاءني رسالة برقية لارجع الى ازمير وانتظر الاوامر فيها فعدت الى ازمير ورأيت مع البريد كتابًا أُمرت بهِ ان ابتاع كل ما اجدهُ من ريش النعام في تلك المدينة فصدعت بالامر ولم يكن الاّ قليل حتى جاء في احد المديرين في ذلك البيت واسمهُ ليلنغوف وقال لي ان استعد للسفر معهُ الى مصر وهناك نبتاع كل ما تصل يدنا اليهِ من ريش النعام قطا يبقنا احد

ولم اكن قد استرحت من وعثاء السفر فكدت ارفض طلبهُ وليتني رفضتهُ ولكن مطالب الاعمال قضت عليَّ بالقبول فاتينا الاسكندرية ولم نجد فيها ريشًا فصعدنا الى القاهرة ولم نقم